

العنوان:	ابن حزم ادبياً ناثراً
المؤلف الرئيسي:	المهري، محمد بن مسلم دبلان عامر جيد
مؤلفين آخرين:	شنوان، يونس(مشرف)
التاريخ الميلادي:	2001
موقع:	اربد
الصفحات:	1 - 191
رقم MD:	566238
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
اللغة:	Arabic
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	جامعة اليرموك
الكلية:	كلية الآداب
الدولة:	الاردن
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد، 384-456 هـ، إمام الظاهرية، التراجم، الشعر العربي، نقد الشعر
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/566238

للاستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب أسلوب الاستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

المهري، محمد بن مسلم دبلان عامر جيد، و شنوان، يونس. (2001). ابن حزم اديبا ناثرا
(رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة اليرموك، اربد. مسترجع من
<http://search.mandumah.com/Record/566238>

إسلوب MLA

المهري، محمد بن مسلم دبلان عامر جيد، و يونس شنوان. "ابن حزم اديبا ناثرا" رسالة
ماجستير. جامعة اليرموك، اربد، 2001. مسترجع من
<http://search.mandumah.com/Record/566238>

الفصل الثالث.

حكاية النص عند ابن حزم

من التحكم أن نخضع النص الحكائي عند ابن حزم لتقنيات السرد الحديثة ونحن نحلل ذلك النص، وبالتالي فإن إضاعة النص الحكائي عند ابن حزم سيراعى فيه الحقبة الزمانية التي ولد فيها هذا النص، والأخذ بما وجد من عناصر القصة، من مكان وزمان وأحداث وحوار وأشخاص، مع وجود الحكمة والنقطة التي انطلقت منها الحكاية.

وقبل الخوض في تحليل النص أرى أنه يتوجب علينا طرح سؤالين هامين يتكشف من خلالهما مدى احتفاء ابن حزم، واهتمامه بفن الحكاية وهما:

- ما سبب الإكثار من القصص في كتاب الطوق^(*)؟
- ما الطبقة التي صدر عنها هذا الكم الهائل من القصص والأخبار في كتاب الطوق؟

وللإجابة عن هذين السؤالين علينا أن نبين أولاً أو بداية، أن ابن حزم اختط لنفسه منهجاً لا يحيد عنه، وهو البعد عن التفنن والتزيد، فسيلتزم الواقع المشاهد أو المسموع، ومن ثم سيبتعد عن حكايات السمار، وما دخل أخبار العذريين من وضع حكايات خيالية، وسيقتصر الأمر على تصوير الحب وإيراده على حقيقته، ومن الواقع الأندلسي خاصة.

من هنا يرى الباحث أن سبب الإكثار من الأخبار والحكايات، هو أن ابن حزم يتكئ على الحكاية كدليل حقيقي ومشاهد كي يدعم بها تلك العنوانات التي صدرها كتابه الطوق، ومن ثم يشيد صرح الثقة بينه وبين القارئ من جانب، ويبعد شبح الملل عن القارئ من جانب آخر، أضف إلى هذا أن الحكاية تفتح أمام القارئ صفحات من الواقع الأندلسي عامة والقرطبي خاصة، وهذا ما يرمي إليه ابن حزم فيما أظن.

(*) رسالة أو كتاب طوق الحمامة هو ميدان الدراسة في فن الحكاية عند ابن حزم.

أما الإجابة عن السؤال الثاني، فإن مقتضيات المنهجية عند ابن حزم فهي إيراد الأخبار والحكايات تعتمد "ما شاهدته حضرته، وأدركته عنايته وحدث به الثقات من أهل زمانه"^(١).

وفي هذا لن ننسى أن ابن حزم كان من طبقة أبناء الوزراء، ثم أصبح وزيرا فيما بعد، وعليه فإن الطبقة الأرستقراطية من سـراة الناس وأصحاب المناصب العالية، مثل بنى حدير، وبنى أبي عبدة، وبنى مغيث، ومن قبل الأسرة الحاكمة أو من يمتلك ثروة وخدماء، أو مكانة علمية ستأخذ مساحة واسعة من الحكاية عنده.

وهذا سيندرج تحت ما سماه المشاهدة، أو حدثه به الثقات، وهنا يلفتنا ابن حزم إلى جانب جدير بالاهتمام وهو موضوع "الإسناد" هذا الجانب الذي يحاول من خلاله أن يبني علاقة وطيدة بينه وبين القارئ، فالإسناد وسيلة إلى صدق الخبر والبعد عن الخرافة وأحاديث السمار وهذا ما سنبينه فيما بعد.

ومجمل القول إن ابن حزم عمد إلى انتقائية واضحة، من حيث الأشخاص أو الطبقة الاجتماعية أو من حيث المكان أو الساحة التي احتوت أحداث القصص، ولعله في ذلك أراد أن يقدم تجربة أو صورة أندلسية خاصة تعتمد الصدق والدقة، زد إلى ذلك أن انتقائية ابن حزم لا تبعد عن وطنيته أو انتمائه لبلده ومدنيته على الخصوص، وهذا ما لوحظ في جيل الفتنة كابن شهيد وابن حيان، وبرز بشكل علمي في رسالة ابن حزم "فضل الأندلس وذكر رجالها"^(٢).

٢- تحليل الحكاية - الأندلسي الذي باع جاريته - (عنوان المحبة)

والنص موضع التحليل هنا هو نص رقم (٢٠) في الملحق الخاص بالنصوص في هذه الدراسة وهو الموسوم بـ "عنوان المحبة أو الأندلسي الذي باع جاريته"

^(١) رسائل ابن حزم (٨٧/١) بتصرف.

^(٢) انظرها في رسائل ابن حزم الثاني ص (١٧١ - ١٨٨).

يتطرق النص لرجل أندلسي باع جاريته التي يحبها لفاقة أصابته، ثم ما لبث أن عاد إلى المشتري وطلب إليه أن يأخذ من ماله ما يشاء ويرجع الجارية، فما كان من المشتري إلا أن رفض كل العروض، فتحمل عليه أهل البلد ولكن لا جدوى فلم يجد الأندلسي أمامه إلا الملك فاستغاثه وشكا له الحال، فرق له الملك واستدعى المشتري وحكمه في ماله وما يشاء، فلم يزد الرجل المشتري إلا تعلقا بالجارية، عندها قال الملك للأندلسي: مالك بيدى أكثر ما ترى فقال الأندلسي: فما لى بيدك حيلة؟ فقال الملك: وهل هنا غير الرغبة والبذل؟ فما كان من الأندلسي إلا أن جمع يديه ورجليه وانصب من أعلى العلية إلى الأرض فارتاع الملك وأمر الغلمان بحمله إليه فقدر أنه لم يتأذ، فقال الملك: ماذا أردت؟ فقال: أيها الملك لا حاجة لي بالحياة من دونها، وأراد أن يقفز ثانية فمنع، عندها كبر الملك وقال: الآن ظهر الحكم والتفت إلى المشتري وقال له: إن كنت تحب الجارية فافعل مثلما فعل صاحبك فإن مت فبأجلك، وإن عشت كنت أولى بالجارية، وإن لم تفعل ما أمرك به نزعت الجارية من يدك، فتمنع المشتري ثم قال: أفعل فلما رأى الهوي تقهقر ورجع، فهدده الملك وأمر الغلمان برميهِ إلى الأرض فلما رأى العزيمة قلل أيها الملك: قد طابت نفسي بالجارية، فاشتراها الملك ودفعها إلى الأندلسي وانصرفا.

٣- المعالجة الفنية عند ابن حزم في حكاية الأندلسي الذي باع جاريته.

أ- رسم الشخصيات وتقديمها.

الشخصيتان الرئيستان اللتان تدور حولهما الأحداث هما التاجر الأندلسي، والمشتري وأظنه من البربر، أما الملك فمع أهمية دوره في القصة كونه حلال العقد فإن ما أسند إليه لا يتعدى كشف المزيد من حضور الشخصيتين وأكثرهما حضوراً الأندلسي.

الرجل الأندلسي، من هو الأندلسي؟ ومن أين جاء؟ ولماذا أتى تلك البلاد؟ كل ما ذكره ابن حزم أنه رجل غريب أتى من بلاد الأندلس ألتمت به فاقة

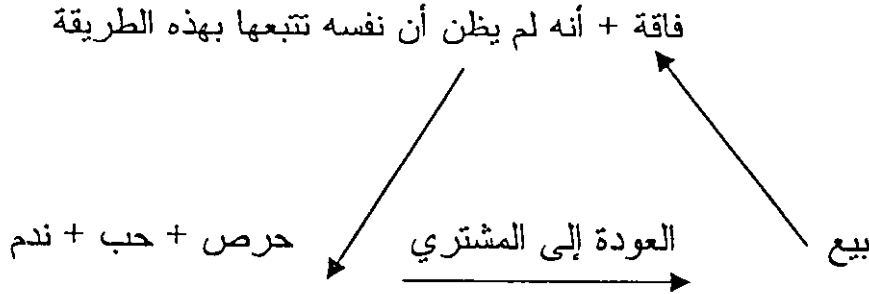
اضطرته إلى بيع جاريته التي كان يجد بها وجداً شديداً، من رجل من تلك البلاد
"فلما حصلت عند المشتري كادت نفس الأندلسي تخرج".

في هذا المقطع يرسم ابن حزم شخصية الأندلسي بتدرج، بدءاً بالحلقة
الأولى إجمالاً وانتهاءً بالتفاصيل، فهو يبدأ بعملية حركية (بيع الجارية) وهي صفة
مادية لينتقل إلى صفة خاصة وهي صفة معنوية "أنه كان يجد بها وجداً شديداً"
وهنا يجمع بين المتناقضات ويتجلى هذا التناقض في عملية البيع والحب الشديد،
مما اضطر الراوي إلى اختلاق الأعذار حتى يبرر هذا التناقض منها.

- العذر الأول: (لفاقة أصابته).

- العذر الثاني (أنه لم يظن أن نفسه تتبعها كل هذا التبع).

والحق أن الراوي لم يوفق في اختلاق الأعذار، لأنها أقل بكثير في تبرير
عمل كهذا، إذ المعلوم أن المحب يقدم روحه فدى للمحبيب، أما بيعه فأمر ثلث إلا
إذا كان من علامات المحبة عندهم!!



الرسم أعلاه يظهر تسلسلاً في الأحداث بيع/تفريط = فأفة + أنه لم يظن
أن نفسه تتبعها الطريقة = ندم + حرص وحب تعيدنا إلى النقطة الأولى نقطة
البداية وهي عودة الأندلسي للمشتري "وحكمه في ماله أجمع وفي نفسه".
اللافت للنظر أن الرجل أي الأندلسي يملك مالاً إذن ما الذي دفعه إلى بيع
جاريته التي يجد بها؟ المهم أنه أغرى المشتري بالمال فهل يقبل المشتري ويعيد
الجارية لبائعها؟

ما كان من المشتري إلا أن رفض العرض "فأبى عليه" إذن فشلت الوسيلة
الأولى في استرجاع الجارية، من هنا ينمو الخط البياني للشخصية في اطراد

منطقي فيلجأ الأندلسي إلى أهل البلد من علماء وتجار، عل وعسى أن يجدوا له مخرجاً مع المشتري ولكن "لا يسعفه منهم أحد".

في هذه الحالة فشلت الوسيلة الثانية في استرجاع الجارية وبدأت الأمور في التعقيد وسدت الأبواب في وجه الغريب "حتى كاد عقله أن يذهب" عندها هداه رأيه إلى باب أخير وهو "الملك" الذي بيده الحل والعقد، وهو الوحيد الذي يستطيع إرجاع الجارية بالحسنى أو بغيرها.

وقبل الخوض في التدابير التي عمل بها الملك نتساءل من هو المشتري؟

بداية هو رجل من تجار البربر، اشترى جارية غاية في الجمال، من رجل ألمت به فاقة، هذا التاجر المشتري يصوره الراوي بالحرص الشديد إلى درجة البخل، فما أن وقعت الجارية في ملكه، حتى طوقها بسور منيع من الادعاءات كالمحبة الشديدة والخوف على نفسه إن هي ذهبت عنه، هذه الادعاءات حالت دون كل وساطة في إرجاع الجارية إلى مالکها الأول.

المهم في رسمه لملاح هذه الشخصية

١- تاجر خبير بانتقاء الجواري وانتهاز الفرص.

٢- شديد الحرص.

٣- قليل الرحمة برجل غريب نأى عن داره وأهله.

٤- لا يقدر أحداً أمام أملاكه.

٥- كذاب مدع خاصة في "مسألة حبه للجارية".

نعود إلى الورقة الأخيرة في مرحلة الاستعانة وطلب المساعدة وهي ورقة "الملك" فتعرض له وصاح، فسمعه فأمر بإدخاله، والملك قاعد في عليّة له مشرفة عالية.

الملاحظة أن ابن حزم حدد المكان الذي يقعد عليه الملك ووصفه بدقة محكمة وأنها "عليّة له مشرفة عالية" وكأنه يذكر ذلك المكان إلى أمر ما.

وبالفعل فقد كانت هذه القصة أو العلية مسرحاً للأحداث، فيها كانت الوساطات من الملك والوزراء، وفيها جرت عملية الاختبار الذي أخفق فيه المشتري، واستطاع بعدها الأندلسي استرجاع جاريته.

من هنا يمكن استخلاص بعض الملاحظات من هذه "العية"

- أن الملك لم يكن بتلك الفخامة والهيبة التي تكون للملوك.

- أو أنه حديث عهد بملك.

- أو أنه في بلد لم يمكنه من اللحاق بركب الملوك المترفين.

وهذا ما سيؤثر في سير الأحداث فيما بعد، خاصة في حديثه مع المشتري،

وسنرى ذلك في حديثنا عن شخصية الملك وكيف صورته ابن حزم.

اللافت للنظر أن الجارية الحسنة لم يزد ابن حزم على أن جعلها كالكنز

الذي يتصارع عليه القراصنة، فلم يكن لها أي حضور فعلي في الحكاية أو هكذا

جعلها ابن حزم تبدو، إلا أن القارئ يستشف أهمية الجارية من خلال الصراع

المحتدم بين الأندلسي والمشتري وما بذله الأندلسي من جهد لاسترجاع جاريته.

$$\text{الرفض} = \boxed{\text{وساطة الملك}} + \boxed{\text{وساطة أهل البلد}} + \boxed{\text{المال}}$$

إن الرسم أعلاه يبين كل الوسائل التي لجأ إليها الأندلسي لاستعادة الجارية،

ولكن هذه المشروعية في الطلب قوبلت بالإدعاء من قبل المشتري أنه أشد حبا لها

منه، فما كان من الملك إلا الرضوخ لهذه الحجة فقال للأندلسي يا هذا مالك أكثر

ما ترى.

عندها أسقط في نفس الأندلسي وأيقن أن الأبواب جميعها سدت في وجهه،

فهذا الملك رغم امتلاكه ناصية الأمر يدعو إلى الصبر لما قضى الله فكان حكمه

بمثابة الإعدام، لأنه لا سبيل إلى الحياة بعدها، "فجمع رجليه وقفز من أعلى العلية"

هنا يستخدم الراوي كلمة تطمئن النفوس "فقضى أنه لم يتأذ" فalcضاء أمر يهئ

المستمعين إلى تقبل ما تتضمنه من حادثة غير عادية^(١) وإلا سقوط كهذا من على شرفة إلى الأرض ثم إنه لم يتأذ في ذلك الوقوع كبير أذى، أمر لا يصدق وعجب من العجائب، وبما أنه أضيف إلى القضاء فهذا أمر يمكن تصديقه "إلا يكنى القضاء أبا العجب"^(٢).

هذا التحول الشامل في مسار الأحداث، جعلت الملك في حيرة من أمره، لعل مخرجاً يلوح في الأفق، وبالفعل كانت القفزة التي قفزها الأندلسي مخرجاً بسل باباً واسعاً لمسألة آلت إلى طريق مسدود فاستخلص منها فكرة الاختبار أي أن القفز من الشرفة اختبار لمن أراد الجارية وعنوان المحبة التي يكنىها للجارية. وبما أن الأندلسي قد تجاوز الاختبار فإن ما يصدق عليه يصدق على غيره فأمر المشتري أن يرمي نفسه من أعلى العلية فإن سلم كانت له الجارية وإن توفي فبأجل، وليس له خيار آخر، وإلا نزلت الجارية من يده.

الاختبار

١- الرمي + الحياة = الجارية.

٢- التراجع + الحياة = التنازل عن الجارية.

هنا أصابت المشتري خيبة أمل لا يحسد عليها، لأن فرصة الاحتفاظ بالجارية مغامرة تعادل حياته، أضيف إلى هذا عزيمة الملك على إمضاء هذا الاختبار، عندها أثر التنازل عن الجارية وردها إلى الأندلسي وانصرفا. أما شخصية الملك فتمتد كونها شخصية رئيسية من أهمية موقعها باعتبار الملك هو سيد الموقف، وهو القاضي ونقطة التقاء بين الأندلسي والمشتري بالإضافة إلى أنه عامل مساعد في رسم ملامح شخصية الأندلسي الهائم المحب المغترب، والمشتري الذي اختفت عنده ملامح الرحمة.

إلا أن الجانب المطروح من شخصية الملك في الحكاية لا يمت بصلة إلى كونه حاكماً من حيث بيان مكانته وأهمية موقعه، لأنه في هذا المقام لا يتعدى مقام القاضي الذي يحكم بين المتخاصمين في البيع والشراء، والدليل على ذلك أنه لم

(١) كيلطو، عبد الفتاح، الغائب، دار توبقال للنشر، ط ٢، ١٩٩٧ م، ٥٤.

(٢) المرجع السابق، (٥٤).

يلزم المشتري في بداية الأمر، بل جعل يبذل له الأموال، ولما أدلى المشتري بحجته من أنه أشد حبا له منه التفت إلى الأندلسي وقال له: مالك بيدي أكثر مما ترى وقد جهدت لك بأبلغ سعي".

فالملك هنا يرد باعتباره قاضياً مصلحاً، لا حاكماً وإن كان في شرفة الملك ويحوطه الوزراء، ولذلك لم يذهب ابن حزم في رسمه لشخصيته إلى أكثر من قاض مصلح مفوض من ديوان الخلافة أو الإمارة بفض المنازعات وإصلاح ذات البين والحكم بالعدل بين المتخاصمين.

ويرى الباحث أن مغزى ابن حزم من إيراد هذه الحكاية إظهار ذلك الأندلسي المتفاني المخلص، وبالمقابل جشع الجانب الآخر مع ضعف العدالة في وضع الأمور في نصابها مع أن الحكاية توحى بغير ذلك. تقنية السرد في حكاية الأندلسي الذي باع جاريته

١- استهلال السردى:-

يظهر أن السرد في الحكايات التراثية يحتاج إلى الإعلان عن نفسه بصيغة من الصيغ تكون بالنسبة إلى الحكاية كالإطار بالنسبة للوحة^(١) بوجه آخر لنقل إنه المفتاح الذي يستفتح به الحكاية أو القصة القديمة بشكل عام، وإن تعددت المفاتيح وتكررت بصيغ مختلفة إلا أنها تدور في فلك واحد، ومن أمثلة هذه الصيغ: قيل، زعموا، كان يا ما كان، ذكروا، حدثنى، أخبرني، بلغني...، ولربما أراد المؤلف/ الراوي من ذلك أن يوحى لقارئه بأنه لا يدعي اختراع ما يروي، بل إن آخر قد رواه، فتراه ينسبه إلى آخر ولو كان مجهولاً، ... وهذا الأسلوب من اصطناع ضمير الغائب يتعمده الراوي ليوحى لمتلقيه بموثوقية حكيه ومصداقية روايته، علاوة على حرصه على تحاشي محاكمة المتلقي له على الكذب وعدم الدقة والتدخل في العمل الحكائي^(٢).

^(١) كيليطو، عبد الفتاح، الحكاية والتأويل، دار توفال للنشر، ط ٢، ١٩٩٩م، ص ٣٦.

^(٢) يوسف، مي أحمد، الحكاية ودلالة السرد في كتاب سلوان المطاع في عدوان الأتباع لابن ظفر الصقلي، دراسات الجامعة الأردنية، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ج ٢٦ (ملحق ١٩٩٩)، ص ١٧.

والموثوقية وحتى "لا يتولد لدى القارئ انطباع وكأن الأحداث الواردة في الخبر لم تقع في الواقع المشهود"^(١).

وعلى كل حال فإن ابن حزم اعتمد في حكاية الأندلسي الذي باع جاريته "على السماع، قائلًا: حكاية لم أزل أسمعها من بعض ملوك البرابرة" فالملك البربري هو الراوي الأول، وابن حزم هو الراوي الثاني، ولم يصرح ابن حزم باسم الملك الذي روى عنه القصة، بل إنه لم يصرح بالمكان الذي حدثت فيه القصة، إلا أننا نستشف من الفعل "لم أزل" عدة معان منها:

- أن القصة حدثت في زمن ليس بالبعيد.

- أنها متواترة السماع عند كثير من الناس فهي معلومة لدى الجميع.
- أنها معلومة الأشخاص والمكان فلم يصرح بهما إما خوفاً عليهم أي الأشخاص وهذا مستبعد، أو خوفاً منهم لما عرف عن البرابرة من عنف وطيش حتى قيل "إن الحدة والطيش عشرة أجزاء تسعة منها في البرابرة وجزء في سائر الخلق"^(٢). أو لأمر في نفس ابن حزم، وما عرف عنه من عداوته للبرابرة فقد أورد ياقوت الحموي خبراً مفاده أن ابن حزم كتب كتاباً سماه "الفضائح"^(٣) تلب فيه البرابرة، وفي هذه الحكاية اتصف الملك البربري بالعدل والرحمة والفتنة وهذا شيء لا يراه الأندلسيون في البربر.

ومجمل القول أن الراوي الأول: (الملك) مجهول.

والراوي الثاني: (ابن حزم) معلوم ثقة.

ولذا قد يطمئن القارئ إلى هذا السند، شيء ما من حيث المضمون، بصرف النظر عن الزيادات الأدبية والرونق اللفظي، والمبالغة في إيراد الخبر، وتصوير بعض الأفعال التي قام بها أبطال الحكاية.

^(١) يوسف، مي أحمد، نشوار المحاضرة، وأخبار المذاكرة للقاض التوخي، أبحاث الرموك، ج١٧، العدد الثاني، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

ص ٢٠

^(٢) معجم البلدان، مادة (لبربر).

^(٣) معجم البلدان، مادة (البربر).

٢- مكونات السرد الحكائي في قصة الأندلسي الذي باع جاريته.

بينما فيما سبق أن من طقوس الحكاية القديمة الاستهلال وتعتمد طرقاً عدة إما بصيغة الضمير الغائب أو المتكلم أو غيرهما، و يشترط وجود ثلاثة أطراف الراوي والمروي له والمروي^(١).

• الراوي: وهو الذي يروي الحكاية أو يخبر عنها وقد يكون مجهولاً أو يسند إليها الراوي الثاني فيكون بذلك راوياً أولاً للمادة الحكائية المروية، وهذا الراوي هو الذي يفترض أن يكون قد روى الحكاية^(٢).

• المروي له: - في هذه الحالة - هو المتلقي وقد يكون شخصاً بعينه وبالتالي يصبح راوياً ثالثاً وعليه سيجري التعديلات وما يملئ عليه أدبه أو قريحته من حذف وزيادة وقد يكون المتلقي سلبياً يكتفي بالسماع. ونلاحظ أن المروي له في حكاية الأندلسي الذي باع جاريته "هو ابن حزم، وهو المؤلف الذي سرد الحكاية لنا".

• المروي: هي المادة التي صدرت عن الراوي بكل ما فيها من شخوص وأحداث وزمان ومكان بمعنى أنها الحكاية.

٣- حركة ما بين التوازن وعدم التوازن في حكاية الأندلسي الذي باع جاريته.

هذا الكم النسبي في الأشخاص بطبيعته سيكون عملية حركية تتسم بالذبذبة والتغاير، هذه الحركة تضع الحدث وتنقله من مرحلة إلى غيرها من الهدوء إلى الاضطراب ثم الهدوء مرة أخرى ومعنى ذلك:

"أن النص الحكائي ينتقل من حالة الاستقرار/ التوازن إلى حالة الاضطراب/ عدم التوازن، ثم يتدخل عنصر ما يكون شخصية محورية تعيد الحكاية إلى التوازن"^(٣) مرة أخرى.

(١) الحكاية ودلالة السرد في كتاب سلوان المطاع، (٢٠).

(٢) نفس المرجع، (٢٠).

(٣) نفس المرجع، (٢٢).

بالنسبة لهذه الحركة في حكاية "الأندلسي الذي باع جاريته" فإنها تبدو من خلال تطور الأحداث، ففي البداية يكون التوازن فالأندلسي ألتمت به الفاقة والفقر فباع جاريته التي يحبها، وجرت مراسم البيع دون إشكال يذكر.

(عدم التوازن) لما أصبحت الجارية عند المشتري كادت نفس الأندلسي تخرج هنا اضطرب الحال وبدأت الأمور في التعقد حين طلب الأندلسي من المشتري إرجاع الجارية وقبول طلبه بالرفض، ترتفع الأزمة، حتى يشترك فيها أهل البلد والملك ولكن لا جدوى من ذلك عندهما جمع الأندلسي يديه ورجليه وانصب من أعلى العلية فكانت قفزته تلك بمثابة المخرج والحل للأزمة التي عجز عن حلها الملك.

المستوى الثالث وهو العودة إلى التوازن عند جعل إزماع الأندلسي قتل نفسه والترامي من أعلى العلية اختباراً نجح فيه الأندلسي وعلى المشتري أن يخوض هذا الاختبار وإلا عليه التنازل عن الجارية حينها أحجم المشتري وتنازل للأندلسي عنها.

وعلى هذا فإن الحكاية قد سارت في مستويات ثلاثة وهي كالتالي:-

المستوى الأول: (بيع/ رضا) نعني بذلك أن الأندلسي باع جاريته برضاه وبدافع الفقر.

المستوى الثاني: ناتج عن (القلق النفسي)، وذلك بطلب من المشتري إرجاع الجارية وبذلك المال والوساطة بأهل البلد ثم الملك ولكن دون جدوى.

المستوى الثالث: التضحية/ اختبار لما انقطع رجاء الأندلسي من إرجاع الجارية بعد أن استنفذ الوسائل، ألقى بنفسه من أعلى العلية، ولكنه قضى أنه لم يتأذ فكانت قفزته اختباراً للمشتري الذي يدعي محبة الجارية فأمره الملك بالترامي من أعلى القصبة أو التنازل فما كان منه إلا أن تنازل عنها.

الحوار:-

يمضى الحوار بين كل من الملك والأندلسي والمشتري كاشفاً عن صفات كل من المشتري الذي أظهر حرصه وبخله الشديدين تجاه ما يملك، والأندلسي الذي جاد بنفسه أو كادت نفسه تذهب حسرة على جاريته إذ الحياة عدم من دونها. خلال إدارة الحوار وسرد أحداثه وما ترتب عليه من أمور لا يفوت ابن حزم أن ينبه القارئ إلى بعض الملامح النفسية بعبارات موجزة فمثلاً.

العبارة	الملح النفسي المشتق منها
- "هذا رجل غريب كما تراه"	رجل اجتمع عليه غربة الدار والأهل ثم ذهاب من يحب من بين يديه، هذه الأسباب جعلت الملك يرق له ويشفع بماله وبما أتى.
- "مالك بيدي أكثر مما ترى"	هنا فلسفة حكم الظاهر للحواس، وإيحاء بالعجز، وانتظار الآتي. إذ أصبح وحيداً.
- "فما لي بيدك حيلة"	التأكد من موقف الملك الذي جعل حيلته مقصورة على بذل المال، مع أن حيل الملوك لا حصر لها وكأن الأندلسي يذكره بسطوة الملوك من أمر ونهى إن لم يكن البذل والرغبة ينفعان. هنا محاولة إظهار عجز حكم الباطن للعقل، والحق أن العقل هو الحجة في المسألة كلها.
- "لا سبيل لي إلى الحياة بعدها"	إخلاص متناه لا يملك إلا نفسه فجاد بها ليعنون على حبه لها فالحياة رخيصة ما لم يكن بقربها.

يمضى الحوار بعد ذلك بين الملك والمشتري خاصة وإن فكرة الاختبار قد أومضت في عقل الملك وأنها أي فكرة "الاختبار هي المحك والفصل في أحقية امتلاك الجارية.

قال الملك للمشتري: يا هذا إنك ذكرت أنك أود لها منه، وتخاف أن تصير في مثل حالته، فأجاب المشتري: نعم.

إن القارئ يستشف من الإجابة أن المشتري وقع في فخ نصبه له الملك إنه فخ "الاختبار" الذي لا يتعدى مسألة (الموت/ والحياة) فالمشتري حتى يعنون لمحبه لا بد له من القفز فإن مات فأجله وإن عاش فله الجائزة الكبرى وهي الجارية ولك أن تتصور أي حياة بعد هذه القفزة الخطرة إن كتبت له الحياة، مجمل القول صدر الأمر الملكي بتصحيح المحبة "وترام من أعلى هذه القصة كما فعل صاحبك".

العبارة	الملح النلسي
المشتري، فتمنع ثم قال: اترامي	في هذه العبارة تعبير عن إحساسه بالخطر وما ينتج عن هذا الاختبار من الخسائر، ولكن أمر لا مفر منه وإلا نزع الجارية منه عنوة، فاستقر على خوض الاختبار وهذا يعنى أن المحبة لم تستقر بعد فهو يعالج معادلة خطرة بين أن يكون محباً أو لا يكون.
فلما قرب من الباب نظر إلى الهوي تحته رجع القهقري ... فهم ثم نكل ... قال أيها الملك: قد طابت نفسي بالجارية.	يظهر من هذه العبارة مدى صعوبة الاختبار ومدى كذبه في محبة الجارية، وأن هذا الإدعاء ما هو إلا غطاء يستتر به ليبعد كل الوساطات عنه والدليل أنه هم بالأمر مرتين وختمهما بإعلان فشله في تسطير عنوان المحبة، فكانت الجارية من نصيب المخلص المتفاني في محبه الذي وضع الاختبار بنفسه ونجح فيه دون مساعدة أحد

هكذا وضع الملك الذكي حداً لمأساة رجل غريب انقطعت به السبل وقل المساعد له في قضيته، قضية كاد أن يدفع نفسه ثمناً لها دون تردد أو تراجع.

ثم يمضى النص فيما تبقى منه ليسرد مآل الأندلسي الذي فاز بإكسير الحياة وعنوان الخلود وهي الجارية، التي قدمها الملك الكريم على طبق من ذهب لينصرفا راجعين إلى بلدهما، ويرثي لمآل المشتري الذي فقد جاريته التي أحبها أو كاد أن يحبها في أغرب اختبار مر عليه في حياته.

هكذا ينجح ابن حزم في معالجة أحداث قصته وتصعيدها إلى ذروتها حيث تجتمع عقدة معينة يصل النص إلى لحظة المساومة على الأرواح في هيئة اختبار يكون دليلاً على محبتهم للجارية.

مستخدماً الحوار المختصر والعبارات الرابطة بين مقاطع الحوار لحل الأزمة، معتمداً ما يداخل النفس من حرص وطمع وادعاء، وإخلاص وتفانٍ وتضحية، حسب ما يمليه الموقف حتى ينتهي بحبكة قصته إلى حل منطقي يرضي كلا الجانبين.

في بنائه لهذه القصة أو الحكاية نجد أن ابن حزم استخدم معظم التقنيات لفن القصة مثل السرد، وتصوير الأشخاص والحوار والاستهلال السردى، والموازنة بين المواقف ... الخ في لغة أقرب ما تكون من الواقع القصصي الحديث، وذلك بالبعد عن التقعر وعدم الإكثار من السجع والتلاعب بالألفاظ.